

تفسير السعدي

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

أي: إلا تنصروا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فالله غني عنكم، لا تضرونه شيئاً، فقد نصره في أقل ما يكون وأذلة {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرجوا {ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} أي: لما هربا من مكة، لجأ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلبتفهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال {إِذْ يَقُولُ} النبي صلى الله عليه وسلم {لِصَاحِبِهِ} أي: بكر لما حزن واشتد قلقه، {إِلَّا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} بعونه ونصره وتأيدته {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبته للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال {إِلَّا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

معناها {أَوَّيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرساً له، {أَوْجَعَلَ
كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى} أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد
قادرين، في ظنهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا
غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئاً
منها: ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على
قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا
على عدوهم ويظهروا عليهم: والنصر الثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر
الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ
أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع: وقوله {أَوْ كَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} أي كلماته
القدرية وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: {أَوْ كَانَ حَقًّا
عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ}
{أَوْ إِنَّا جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة،
والآيات الباهرة والسلطان الناصر: {أَوِ اللَّهُ عَزِيزٌ} لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب،

﴿أَحْكِيمُ﴾ يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة

الإلهية. أوفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه

الأمّة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو

المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكروا صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم

كافراً، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها. أوفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على

العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب

معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته. أوفيها: أن الحزن قد يعرض

لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى إذا نزل بالعبد أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه

مضعف للقلب، موهن للعزيمة. أ